



The Place of Women in the Thought of Imamayn Al-'Askariyyayn

Amal Soheil Abdolhosseini¹

Jabbar Mohammad Hashem Al-Musawi²

Received: 06/01/2021

Accepted: 02/02/2021

Abstract

Islam has given women something that no other religion has given them. A woman with her noble personality and honorable deeds can prove that she is a part of society that is not underestimated in any way. The Holy Qur'an, for both men and women, prefers good deeds and faith and knowledge, and nothing else. In this paper, we will explain that the Ahl al-Bayt have placed the woman in the same position as the Qur'an has placed. If a woman is aware of her value, she has a high status with the Ahl al-Bayt, but if she agrees with someone who deprives her of her Islamic identity, she has no status and place for them or the people. Islam is the religion that honors and restores a woman's face after she has been humiliated and worthless in all pre-Islamic or contemporary Islamic societies and has been humiliated by Jews, Christians, Greeks, Romans, Iranians, etc. If we review the history of Muslim nations, we will find examples and images of immortal women throughout history, including: Eve, Sarah, Hajar, Asiya, and Mary (peace be upon them). In the history of our Islam, there were immortal women who had a place and role in society that could not be underestimated. Among those eternal models, we can name Hazrat Khadijeh, the daughter of Khuwalid, Hazrat Zahra, the daughter of the Prophet, and Hazrat Zeinab, the daughter of Imam Ali (as).

Keywords

Imam Hadi, Imam Hassan Askari, the Place of Women, Islam.

1. Professor, Faculty of Ma'arif, University of Kufa, Kufa, Iraq. amals. (Corresponding Author).
alhusainy@uokufa.edu.iq.

2. Professor, Faculty of Arts, University of Kufa, Kufa, Iraq. jabbar.almusawi@uokufa.edu.iq

* Abdolhosseini, A., & Al-Musawi, J. (2021). The Place of Women in the Thought of Imamayn Al-'Askariyyayn. *Journal of Al-Tarikh Al-Hazarah Al-Islamiyah; Royato- Al- Mu'asirah*, 1(1), pp. 61-97.
DOI:10.22081/ihc.2022.62813.1004

مكانة المرأة في فكر الإمامين العسكريين عليهما السلام

أمل سهيل عبد الحسيني^١ جبار محمد هاشم الموسوي^٢

تاريخ القبول: ٢٠٢١/٠٢/٠٢

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/٠١/٠٦

الملخص

ان الإسلام قد أعطى للمرأة ما لم يعطه ديننا غيره، ان المرأة بشخصيتها الأصبيلة وأعمالها الجليلة تستطيع ان تقيم البرهان على أنها شطر المجتمع الذي لا يستهان به بحال من الأحوال، والقرآن الكريم أعطى الأفضلية، سواء للرجل أو للمرأة للعمل الصالح والإيمان والعلم لا شيء آخر، قد تبين بأن اهل البيت عليهم السلام قد وضعوا المرأة في نفس الموضوع الذي وضعها القرآن فيه، وللرأة مكانة عند اهل البيت عليهم السلام اذا هي عرفت قيمتها، اما اذا كانت توافق من يسلبها هويتها الإسلامية، فلا تعني شيئاً لا عندهم ولا عند الناس جميعاً. الإسلام دين كرم المرأة وأعاد اليها كرامتها بعد أن كانت مهانة ذليلة وبلا قيمة في كل الأمم السابقة على الإسلام أو التي عاصرت الإسلام، فكانت مهانة عند اليهود والنصارى والإغريق والرومان والفرس وغيرها من الحضارات القديمة. فإذا استعرضنا تاريخ الأمم المسلمة سنجد نماذج وصور نساء خالدات عبر التاريخ من هؤلاء: السيدة حواء، السيدة سارة، السيدة هاجر، السيدة الجليلة آسية، السيدة الجليلة مريم. أما تاريخنا الإسلامي فقد برزت فيه نساء خالدات كانت لهن مكانة ودور في المجتمع لا يستهان به ومن تلك النماذج الخالدة: خديجة بنت خويلد، السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء، زينب الحوراء ابنة أمير المؤمنين عليه السلام.

الكلمات المفتاحية

الامام الهادي عليه السلام، الامام الحسن العسكري عليه السلام، مكانة المرأة، الاسلام.

١. أستاذ جامعة الكوفة، كلية التربية المختلطة (الكاتبة المسؤولة). amals.alhusainy@uokufa.edu.iq

٢. أستاذ جامعة الكوفة، كلية الاداب. jabbar.almusawi@uokufa.edu.iq

* عبد الحسيني، أمل سهيل؛ هاشم الموسوي، جبار محمد. (١٤٤٢هـ). مكانة المرأة في فكر الإمامين العسكريين عليهم السلام مجلة تاريخ الحضارة الإسلامية؛ رؤية معاصرة، مجلة نصف سنوية ١ (١)، صص ٦١-٩٧.

عندما نكتب عن تلك الدرة المكنونة، والجوهرة المصونة التي أخطأ الجميع في حقها، وعرف قيمتها أهل بيت النبوة وموضع الرسالة، وتحدثوا عنها، وأوصوا بها في كل المناسبات، فقال سيدهم وأبوهم محمد ﷺ: «رفقاً بالقوارير» (ابن شهر آشوب، ١٣٧٦هـ ج ١، ص ١٢٨)، و «المرأة ريحانة وليست بقهرمان» (الصدوق، ١٤٠٢هـ ج ٣، ص ٥٥٦)، عندما نكتب عن المجتمع والركن الأصيل من أركان الأسرة المسلمة، من استهدفها أعداء الإسلام ليطعنوا بالدين من خلالها.

نكتب عنها لنقول لها: أنت الأم وأنت الأخت وأنت الابنة وأنت الزوجة المصونة، تعالي لتعربي قدرك عند الله ومكانتك العالية في دينك الإسلام، وعند أهل البيت ﷺ، خصوصاً عند إمامين من أئمة أهل البيت ﷺ، هما الإمامان العسكريان.

نقول لها: إن الإسلام العزيز قد أعطاك مكانة عظيمة وسامقة، وحقك بحقوق، كما أن عليك واجبات؛ كونك جزءاً عزيزاً من المجتمع وركناً أصيلاً من أركان الأسرة المسلمة، وعضواً نافعاً من أعضاء المجتمع الإسلامي، تتحملين قسطاً عظيماً من أعباء الدعوة إلى الله تعالى ومسئوليتها، فتعالي لتعربي قدرك، تعالي لتنفق معاً على ما قال فيك أهل بيت النبوة لتعربي أنك - لا سأل الله - إذا فسدت فسدت المجتمع بأسره وفسدت الأمة وقوض بنيانها، ومن ثم انتزعت خيراتها.

المطلب الأول: مكانة المرأة ودورها في الإسلام

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوْحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُهَا وَمَرْيَمَ الَّتِي هَدَيْنَا سَبِيلَنَا بِمَا عَلَّمْنَاهَا إِذْ وَجَدَهَا غَائِبَةً فَوَجَدَهَا ظَاهِرَةً وَتَوَكَّلْنَا بِهَا وَإِنَّا فَجَّرْنَا بِالْأَنْبِيَاءِ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ) (التحریم، ١١-١٢).

في هذه الآية المباركة أراد الله سبحانه وتعالى أن يضرب مثلاً للذين آمنوا رجالاً ونساءً فلم يذكر اسم نبي أو صحابي أو رجل صالح، وإنما ضرب المثل بامرأتين، وهذا أعظم تكريم للمرأة، وهو أن نموذج الإيمان يتمثل في هاتين المرأتين الصالحتين.

لماذا يا ترى هذا التكريم؟ لأنها نصف المجتمع، بل هي المجتمع كله حينما تربي في حجرها النصف الآخر - أي الرجل - فهي الأم والأخت والزوجة والابنة، وهي من يهب الحنان بلا مقابل، بل هي مصدر الحنان والعاطفة في الحياة، وقد جعلها الله سكناً للزوج، وجعل بينهما مودة ورحمة، وهي.....، فإذا صلحت المرأة صلح المجتمع كله وكانت بمثابة رجل، حملت الدين على أكتافها، فولوا مال خديجة عليها السلام لما استمر دين محمد عليه السلام، ولولا صرخة الزهراء عليها السلام لما فُضح المنافقون وأسقط ما في أيديهم أمام الناس، ولولا وقفة زينب عليها السلام يوم العاشر من المحرم وما بعده أمام الطواغيت، لقالوا بحقّ الحسين عليه السلام: إنه خارجي، ولاندثرت ثورته إلى يوم القيامة.

وإذا ما تفحصنا وصايا رسول الإنسانية عليه السلام، لوجدنا أن آخر ما وصّى به قبل وفاته هو وصيته بالنساء، فقال عليه السلام: «ألا استوصوا بالنساء خيراً» (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٣٣، ص ٦٢٨)، وقال عليه السلام: «اتقوا الله في نساءكم فإنما هنّ عوان عندكم» (الترمذي، ١٤٠٣هـ ج ٢، ص ٣١٥)... فهنا نجد القيمة الكبيرة للمرأة عند النبي عليه السلام واهتمامه بها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنّ في القرآن الكريم سورة كاملة - وهي من السور الطوال - اسمها سورة النساء، نتكلم عن العدل والرحمة مع المستضعفين في الأرض خصوصاً النساء، كذلك فإنّ القرآن قد سمّى سورة من سوره باسم (المجادلة)، افتتحها بالحديث عن استماع الله من فوق سماواته من امرأة تجادل النبي عليه السلام وتحاوره، فيقول في بدء هذه السورة: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (المجادلة، ١).

فالإسلام هو الذي كرم المرأة وأعاد إليها كرامتها بعد أن كانت مهانة ذليلة وبلا قيمة في كل الأمم السابقة على الإسلام أو التي عاصرت الإسلام، فكانت مهانة عند اليهود والنصارى والإغريق والرومان والفرس وغيرها من الحضارات القديمة، فجاء الإسلام ليضع النقاط على الحروف، ويضعها في مكانها الطبيعي وليغير الصورة تماما.

فإذا استعرضنا تاريخ الأمم المسلمة^١ سنجد نماذج وصور نساء خالداً عبر التاريخ، من هؤلاء:

١- أمنا السيدة حواء عليها السلام، خلقها الله تعالى لتكون سكا لأبينا آدم عليه السلام بعد أن شعر بالوحدة في الجنة، والتي هي بدورها بريئة من كل التهم التي ألصقت بها في كل الديانات الأخرى والتي حملتها مسؤولية خروج آدم من الجنة....، أما القرآن فقد برأها من هذه التهمة، فوجه خطابه إلى آدم وحواء عليهما السلام على السواء، بل وضع المسؤولية على آدم؛ لأنه الرجل، ورأينا كيف أحبا آدم وعاشا سوية أكثر من تسعمائة عام، وعمرا الأرض سوية، وأنجبوا الذرية المؤمنة، وزرعوا معاً أول بذور الإيمان والإسلام في الأرض (الطبري، بلا تاريخ، ج ١، ص ٤٣).

٢- السيدة سارة زوجة أبينا إبراهيم عليه السلام: التي ثبتت معه على الإيمان والتوحيد بالرغم من تكذيب كل الناس له، وهاجرت معه لنشر الدين، ورأينا كيف نجحها الله من يد فرعون مصر بكرامات لا يعطيها الله إلا للإنسانة مؤمنة وموصولة بالله تعالى ثم رأينا كيف صبرت على عدم الإنجاب حتى كانت المكافأة وهي في التسعين من عمرها وأنجبت نبي الله إسحاق عليه السلام وعاشت حتى رأت حفيدها يعقوب بعده (الطبري، بلا تاريخ، ج ١، صص ١٠٢-١٣٢).

٣- السيدة هاجر زوجة أبينا إبراهيم عليه السلام: وهي جارية السيدة سارة، وهبتها

١. لأن معنى المسلم، هو الذي يسلم وجهه لله تعالى، وكل الأمم السابقة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والتي أسلمت وجهها لله رب العالمين تعتبر أمم مسلمة.

لإبراهيم عليه السلام فتزوجها وأنجبت له سيدنا إسماعيل ورحل بها إلى مكة - بعد أن أمرته سارة، فأمره تعالى بتلبية طلبها بعد أن أكلت الغيرة قلبها- وكانت صحراء قاحلة لا زرع فيها ولا ماء، وتركها وطفلها هناك، فقالت له: الله أمرك بهذا؟، فقال لها: نعم ... فقالت له: إذن فلن يضيعنا، فهذا يقينها وثقتها الشديدة بالله تعالى وقوة إيمانها واستسلامها لأمره، ويكفيها شرفاً أن جعل الله تعالى سعيها في طلب الماء لوليدها منسكاً من مناسك الحج، فالمسلمون إلى يومنا هذا إذا ما حجوا، زاروا ذلك الماء الذي كافأها الله تعالى به بعد ما رأى صبرها وسعيها، ليس هذا فقط بل ضربت لنا مثلاً رائعاً في الثبات والطاعة الإلهية ومجاهدة الشيطان عندما همّ سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ولدها إسماعيل تنفيذاً لأمر الله تعالى له، وكيف ظهر الشيطان للسيدة هاجر في صورة رجل ليحزن قلبها على ابنها؛ لكيلا تنفذ أمر الله، وكيف أنها رجته بالحصى، فكان هذا منسكاً آخر يقوم به الحجاج وذلك عند رمي الحجرات (الطبري، بلاتاريخ، ج ١، صص ١٤٣-١٤٩).

٤- السيدة أم موسى عليه السلام: تلك المرأة الصابرة المؤمنة التي أوصى الله تعالى لها بأن تضع وليدها في صندوق وتقدفه في اليم، فأطاعت الله ونفذت أمره، فربط الله تعالى على قلبها وألمها الصبر، حتى بعد أن عرفت أنّ ابنها قد التقطه حرس فرعون وجنوده فأعاده إليها لترضعه في قصر فرعون (الطبري، بلاتاريخ، ج ١، صص ١٨٣-٢٠٥).

٥- السيدة الجليلة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون: التي ذكرها القرآن، كذلك رسول الإسلام في حديثه عندما قال عنها: «لم يكل من النساء إلا أربع، آسية بنت مزاحم امرأة فرعون» (الطبرسي، ١٤١٥هـ ج ١٠، ص ٦٥)، تلك المرأة التي رفضت الدنيا وما فيها من زخرف، ووقفت في وجه فرعون، وآمنت بالله وتحمّلت العذاب في سبيل ذلك وثبتت على موقفها، وقد سألت ربها أن يبيّن لها عنده بيتاً في الجنة، فأراها الله مكانها من الجنة قبل أن تفارق الحياة، فذهبت شهيدة في سبيل الحق وهي مبتسمة (الطبري، بلاتاريخ، ج ١، صص ١٨٣-٢٠٥).

٦- ماشطة بنت فرعون: التي ثبتت على إيمانها وتوحيد الله وتحذت فرعون بصبرها على قتل أبنائها الخمسة حرقاً بالزيت المغلي أمامها ولم تقل كلمة كفر واحدة، وأنطق الله ابنها الرضيع ليثبتها، حتى استشهدت في سبيل الله مع أولادها (الطبري، بلاتاريخ، ج ١، صص ١٩٣-٢٠٥).

٧- زوجة أيوب عليه السلام: التي صبرت معه على الضراء والفقر، وقد كانت تخدمه وهو مريض، وقد وقفت بجانبه حتى قيل أنها اضطرت للعمل نكادمة في البيوت للإتفاق عليه، بحيث اضطرت لقص شعرها وبيعه لتتفق على بيتها وزوجها، فبها رفع الله عنهم البلاء وعوضهم بأحسن ما كان عندهم قبل الشدة (انظر: الجزائري، ١٤٢٠هـ ص ١٩٧).

٨- السيدة الجليلة مريم العذراء: التي كرمها الله تعالى في القرآن الكريم ذاكراً لنا عفتها وطهارتها ونقاءها وعبادتها وتبتلها لله، وكان الله يرسل لها بالفاكهة في غير أوانها، فقال تعالى: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (آل عمران / ٣٧).

ومنها تعلم زكريا بعد أن أجابته قائلة: (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) كيف يحق له أن يطلب من الله أي شيء يرغب فيه وإن كان ليس في أوانه، أي إن زكريا وزوجته رغم أنهما أصبحا عجوزين يحق لهما أن يدعوا الله أن يرزقهما الذرية الصالحة حتى وإن كان في غير أوانه، وأجرى الله تعالى لها معجزة أخرى حينما رزقها بمولود بغير أب، وهو سيدنا عيسى على رسولنا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وتكلم في المهد لكي يرد على اليهود الذين اتهموها في عرضها. (الجزائري، ١٤٢٠هـ ص ١٩٧).

٩- السيدة بلقيس ملكة سبأ: تلك المرأة المعجزة التي استطاعت أن تبلغ منازل مرموقة حتى وصلت إلى دفة الحكم بذكائها، وحسن تديورها، وبعد نظرها،

ومع ما أوتيت لكنها لم تستبد بالحكم ولم تطغ، بل طلبت من قومها المشورة والنصيحة عندما رأت أن الاعتماد على رأيها وحدها في موضوع مصيري قد يجرّ إلى ما لا تحمد عقباه؛ لذلك قالت لهم: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِي قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) (النحل، ٣٢-٣٣).

كذلك فإنّ القرآن الكريم يقصّ لنا مواقفها مع سليمان حتى ينتهي بها المطاف إلى أن تسلم لله رب العالمين مع النبي سليمان عليه السلام وتردد القول الذي حكاها عنها القرآن الكريم: (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النحل، ٤٤)، فضربت مثلاً للنساء: أن المرأة تستطيع بشخصيتها الأصيلة وأخلاقها الجميلة وأعمالها الجليلة أن تقيم البرهان على أنّها شطر المجتمع الذي لا يُستهان به بحال من الأحوال. هذه ثلثة من النساء الفاضلات اللاتي عرضهن لنا القرآن الكريم في تاريخ البشرية.

أما تاريخنا الإسلامي فقد برزت فيه نساء خالدات كانت لهن مكانة ودور في المجتمع لا يُستهان به، ومن تلك النماذج الخالدة:
خديجة بنت خويلد: التي كانت تلقب بالطاهرة، وكانت صاحبة مال وجمال وحسب، وكانت صاحبة تجارة تديرها بذكائها، تتعامل مع الذين يديرون تجارتها بعفة وطهر، لم تسجد لصنم قط في الجاهلية، وقد اختارت الزواج بالنبي محمد صلى الله عليه وآله بالرغم من فقره؛ لأنه كان يعرف بين قوماً بالصادق الأمين، فكان زواجا مثالياً وقد كانت قصة حبها للنبي صلى الله عليه وآله أعظم وأطهر قصة حب شهدتها التاريخ. آزرت النبي صلى الله عليه وآله في بداية الدعوة ووفرت له الجو المناسب ليقوم بدعوته رغم إبداء قرش له صلى الله عليه وآله. وتعدّ أول امرأة دخلت الإسلام وأدخلت على يدها نساء كثيرات،

١. انظر: مكارم الشيرازي، ١٤٢٤ق، صص ٣٢٧-٣٣٥.

وكانت السند والعون لرسول الله ﷺ، صبرت على حصار شعب أبي طالب حتى نفذ ما لها كله، وعندما عاجلتها المنية أرسل الله تعالى جبرائيل إلى النبي ﷺ يقول له: «إن الله يقرئ خديجة السلام ويبشرها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ١٦، ص ٨). فهذا أعظم تكريم لهذه المرأة العظيمة كي تعلم نساء الدنيا قدرها عند الله، وقد ظل النبي ﷺ يحبها حتى بعد وفاتها، فكان يذكرها طوال حياته الشريفة، حتى أن عائشة لامته - لأنها كانت شديدة الغيرة منها وهي ميتة - قائلة له: هل كانت إلا عجوز، فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال: «لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني وكذبني الناس، وواستني في ما لها إذ حرمني الناس...» (ابن الاثير، بلاتاريخ، ج ٥، ص ٤٣٨).

السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء ؑ ابنة الرسول ﷺ: كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ بعد أمها خديجة ؑ بل كانت سلوته الوحيدة في الدنيا؛ لأنها من يذكره بخديجة ؑ، كانت أشبه الناس بالنبي ﷺ خلقاً وخلقاً، وقد ذكرها النبي ﷺ بأحاديث كثيرة إشارة لشرفها في الساحة الإسلامية، من تلك الاحاديث: -
(فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ...) (الصدوق، ١٤١٧هـ ص ١٦٥).

وقوله ﷺ: (يا فاطمة إن الله يرضى لرضاك، ويغضب لغضبك) (ابن ابي جمهور

الاحسائي، ١٤٠٣هـ ج ٤، ص ٩٣)

وقوله ﷺ: (يا فاطمة أما ترضين إني قد زوجتك أقدمهم إسلاماً وأعظمهم

حلباً وأكثرهم علماً) (ابن ابي جمهور الاحسائي، ١٤٠٣هـ ج ٤، ص ٩٣)

وقال ﷺ: (لم يكمل من النساء إلا أربع ... وفاطمة بنت محمد ﷺ) (الطبرسي،

١٤١٥هـ ج ١٠، ص ٦٥)

فاطمة التي لم يشاهد خيالها أحد اضطرها الزمان للخروج إلى مسجد رسول الله ﷺ لتلقي خطبتها الشهيرة بعد أن أنكر القوم بيعتهم لزوجها الإمام علي ؑ وبعد

أن غصبها إرثها من فذك، فخرجت تخاطب الخليفة قائلة: (يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أبك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً! أفعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) (النمل ١٦٧) (الطبرسي، ١٣٨٦هـ ج ١، ص ١٣٨)، فدفعت بنفسها فداءً للإسلام ودفنت مظلومة مقهورة مخفي قبرها.

٣- زينب الحوراء ابنة أمير المؤمنين عليه السلام: تلك العالمة غير المعلّمة كما قال لها الإمام السجاد عليه السلام: «أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، وفهمة غير مفهّمة» (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٤٥، ص ١٦٤)، فقد بلغت هذه المرتبة العظيمة والمقام الرفيع عند الله تعالى، وأنّ مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرفيع أفيض عليها إلهاماً.

كانت الشاهدة على نهضة أخيها الحسين عليه السلام لأنها من حمل رسالة الثورة إلى الآفاق؛ ولأنّ النهضة أساساً كانت تهدف بعث زلزال في الضمائر، قامت عليها السلام بدور قائدة السبايا ما بين العراق والشام، فضحت بني أمية على رؤوس الأشهاد، فكانت كلماتها زلزالاً يقرع الأسماع، أليست هي القائلة ليزيد اللعين: «ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك أنّي لاستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكبر تويخك، لكن العيون عبرى والصدور حرّى، فكذ كيدك واسع سعيك وناصر جهدك، فوالله لا تحو ذكرنا، ولا تمت وحيناً، ولا تدرك أمدنا» (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٤٥، ص ١٣٥). فهل هناك شجاعة بعد هذه الشجاعة؟ وهل تستطيع امرأة غير ابنة علي عليه السلام أن تقف أمام أعتى طواغيت الأرض لتقرع أسماعه بتلك الكلمات.

إذاً هي المرأة المسلمة وهذه مواقفها وأدوارها وهذه مكانتها، فكانت تلعب أدواراً عديدة، فلها دور في الدعوة إلى الله وفي الجهاد وفي السياسة وفي العلم وفي العمل وفي العبادة وتربية الأجيال، فكان أول من آمن بالله امرأة - خديجة - وأول من سجد لله امرأة، وأول شهيدة امرأة - إشارة إلى سمية أم عمار -.

المطلب الثاني: إشعاعات نورانية من حياة الإمامين العسكريين

١- الإمام علي الهادي عليه السلام:

في سيرة أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، ومنايع الحكمة في دنيا الإسلام ملتقى أصيل للمثل العليا والقيم الرفيعة التي يعتز بها كل كائن حي من بني البشر، فقد تجسدت في سيرتهم وسلوكهم سيرة وسلوك جدهم الرسول ﷺ الذي فجر ينابيع العلم والحكمة في الأرض.

ومن تلك المصابيح الطاهرة وكواكبها المشرقة، الكوكب العاشر من كواكب الإمامة، ألا وهو الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي بن الإمام الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والد الإمام العسكري عليه السلام، وجد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

اختلف في ولادته، فمن قائل: أنه ولد في ٢١٢ هـ^١، وبين قائل أنها في ٢١٤ هـ^٢.

كانت شهادته على يد المتوكل العباسي بالسّم عام ٢٥٤ هـ، كما ذهب إلى ذلك الشيخ المفيد (المفيد، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٣١٢)، وقد دفن هذا الإمام المظلوم بعد تشييع عظيم من شيعته ومحبيه في مدينة سامراء في بيته الشريف الذي كان يسكنه في أيام اقامته في سامراء، والذي تعرض اليوم إلى تفجير الارهابيين الذين فضلوا أن يكلموا ما بدأه أجدادهم من حقد وضغينة على أهل بيت النبوة، إذ صعب عليهم أن يروه وإن كان ميتاً يسكن في بيت صار للعالمين قبلة، بعد أن سكن في قلوب محبيه وشيعته.

١. ذهب إلى ذلك المفيد في الإرشاد، ج ١، ص ٢٠٧ وكذلك النيسابوري في روضة الواعظين، ج ١، ص ٢٤٦ والكليني في الكافي، ج ١، ص ٤٩٧.
٢. ذهب إلى ذلك: الاربلي في كشف الغمة ج ٣، ص ٢٣٠، ابن الصياغ المالكي في الفصول المهمة ص ٢٥٩، وسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٣٢٣.

وما دمنّا نتحدث عن مكانة المرأة عند الإمامين العسكريين عليهما السلام لا بد من الحديث عن أم الإمام الهادي عليه السلام، فقد اختلف في اسمها الشريف، فقيل: هي أم ولد يقال لها شمامة، ويقال لها سمانة (الكلي، ١٣٨٨هـ ج ١، ص ٤٩٧). ويقال إنها معروفة بأم الفضل (ابن شهر آشوب، ١٣٧٦هـ ج ٤، ص ٤٠١)، وقيل: إنها تدعى سوسن (الحر العاملي، ١٤٠١هـ ج ٢، ص ٢٠١)، وعلى أي حال، فكونها أم ولد فهذا لا خلاف فيه، كذلك لا خلاف في كونها من المغرب؛ لذا سميت بسمانة المغربية أو منفرشة المغربية (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٥٠، ص ١١٤).

وقد نقل الطبري - الشيعي - رواية عن محمد بن الفرّج بن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر قال: دعاني أبو جعفر محمد بن علي فاعلمني أنّ قافلة قد قدمت وفيها نخاس ومعه جوار ودفع لي سبعين ديناراً وأمرني بابتياح جارية وصفها لي، فمضيت وعملتُ بما أمرني، فكانت الجارية أم أبي الحسن، وروى أن اسمها سمانة وكانت مولدة (الطبري، بلاتاريخ، ص ٢١٦)، وقد أثنى الإمام الهادي على أمه هذه يفهم منها عظم شأنها، وسنتعرض له عند الحديث عن مكانة المرأة عند الإمامين العسكريين ان شاء الله تعالى.

ورب سائل يسأل: لماذا أكثر أمهات الأئمة عليهم السلام من الجوّاري؟، ألا يوجد في نساء بني هاشم وآل أبي طالب من تتوفر فيها شروط المرأة التي يتربى في حضنها الإمام المعصوم؟ ولعلنا في معرض الإجابة عن هذا الاستفسار نكون موفقين إن شاء الله، فقد يكون ذلك عائداً لأحد الأسباب:

١- إنّ أمر التسري والجوّاري كان شائعاً في ذلك اليوم وقد اتخذ بعض الأئمة عليهم السلام الجوّاري، فلرب جارية كانت خيراً من غيرها وكان فيها من المؤهلات لأن تكون أمّاً لإمام ولم تكن هذه المؤهلات في جارية أخرى بل حرة أخرى، وإن كانت قد ولدتها الأئمة عليهم السلام، فكان هذا الاصطفاء لإيمانهم الذي رحمن حتى على الحرات.

٢- لعل السبب يعود إلى أمور غيبية لا يعلمها إلا الله وهذا الإمام المعصوم،

فلو تأملنا في قصة أمّ الإمام القائم المهدي وكيفية شرائها- لاتضححت المسألة أكثر فأكثر لأنّ فيها شيئاً من الغموض الذي لا يسعنا أن نتدخل فيه.

٣- لعل الأئمة أرادوا بذلك أن يضربوا لنا مثلاً في أنّ مقولة الرسول ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (احمد بن حنبل، بلا تاريخ، ج ٥، ص ٤١١)، إنّما يكون المعيار الإسلامي هو التقوى والتقوى لا غير، لا حسب ولا نسب، وبما أنهم قدوة في كل شيء وجب ان نكون نحن ايضاً لا نفرق، فحري بالمسلم ان يتزوج المرأة المؤمنة، حتى وان لم تكن عربية.

اعتنى أئمة اهل بيت النبوة ﷺ بتأديب أبنائهم وتعليمهم الآداب والعادات الإسلامية، وان كان عليهم وأدبهم ﷺ لذني- إلا ان الإمام الجواد ﷺ اختار للإمام الهادي مؤدباً يسمى ذكوان، وهذه ليست سابقة عندهم ﷺ فقد سلم رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء ﷺ إلى أم سلمة قبل ان يتزوجها الإمام علي ﷺ (الطبرسي، ١٤٢٣هـ ص ٤٣)، وكذلك الإمام الصادق بالنسبة للإمام موسى بن جعفر ﷺ (الطبرسي، ١٤٢٣هـ ص ٩٢)، ولعل هذا ايضاً يعود - ان فرضنا صحة سند هذه الروايات- إلى ترغيب الناس وحثهم على اتباع سنة التعليم والتربية عند المؤدبين والمعلمين وعدم استنكافهم من هذه المهمة لتعليم الصبيان القرآن والأحكام الشرعية بعد تعلمهم القراءة والكتابة عندهم، وإلا فالمعصومون في غنى عن تعليم معلم؛ لأن من تربى في حجر النبي أو احد المعصومين لم يكن له حاجة إلى معلم أو مؤدب، وقد عرف كل شيء حتى في صغره.

أما التنصيص على إمامته فقد كانت من أبيه الجواد بنصوص صدرت منه ﷺ لأمية بن علي القيسي والصقر بن دلف واسماعيل بن مهران - وهم من صحابة الإمام الجواد- وقد كان عمره الشريف ثمان سنوات، فمن تلك النصوص: ما رواه الصقر بن دلف قال: سمعت ابا جعفر محمد بن علي الرضا يقول: الإمام

بعدي ابني علي، أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن (الصدوق، ١٤٠٥هـ ص ٣٧٨).

ولقد لقب سلام الله عليه بألقاب عدة، أشهرها:-

١- التقي ٢- الصادق ٣- سائر الأمة ٤- عالم الأمة ٥- الأمين ٦- الناصح ٧- الهادي إلى الله ٨- المستكفي بالله والولي لله ٩- الفعال ١٠- طاهر الجنبه، صادق اللهجة ١١- أمين الله على وحيه ١٢- خطيب الشيعة، وسبب هذه التسميات تعود إلى رسول الله ﷺ إذ وردت عنه ﷺ أحاديث تشير إلى الإمام الهادي بإحدى هذه الألقاب، فمثلاً الحديث التالي عنه ﷺ يشير إلى سبب تسميته بخطيب الشيعة، فعن الإمام علي عليه السلام انه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا واركم على الحوض، وأنت يا علي الساقى، والحسن الذائد والحسين الأمر، وعلي بن الحسين الفارض، ومحمد بن علي الناشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين، وعلي بن موسى مزين المؤمنين، ومحمد بن علي منزل اهل الجنة في درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب الشيعة ومزوجهم الحور العين، والحسن بن علي سراج اهل الجنة يستضيئون به، والقائم شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء ويرضى) (الخوارزمي، ١٤٢٣هـ ص ٧٤).

كان الإمام علي الهادي عليه السلام كسائر الأئمة الهداة من أعلم الناس وأفضلهم في عصره، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير.

فمن ذلك اخباره باستشهاد والده الكريم، فعن محمد بن عيسى، عن هارون عن رجل كان رضيع ابي جعفر عليه السلام قال: بينا أبو الحسن عليه السلام عند مؤدب له يكنى أبا ذكوان وأبو جعفر عندنا، انه ببغداد وأبو الحسن يقرأ في اللوح على مؤدبه، إذ بكى بكاءً، فسأله المؤدب مم بكائك؟ فلم يجبه، فقال: ائذن لي بالدخول - أي ان يدخل الإمام على عائلته - فأذن له فارتفع الصياح والبكاء من منزله، ثم خرج إلينا فسألناه عن البكاء؟ فقال: ان ابي توفي في الساعة، فقلنا بما علمت؟ فقال: دخلني من إجلال الله ما لم اكن أعرفه قبل ذلك، فعلمت انه قد مضى فتعرفنا

ذلك الوقت من اليوم والشهر، فإذا هو قد مضى في ذلك الوقت (الطبري، بلا تاريخ، ص ٢١٩).

وكذلك باخباره بخراب بلدة سامراء، فقد روى الشيخ الطوسي في الامالي عن الفحام عن المنصوري، عن عم ابيه، عن علي بن محمد عليه السلام في حديث انه قال له: تخرب سر من رأى حتى (لا) يكون فيها خان، ويقال للهارة، وعلامة تدارك خرابها تدارك العمارة في مشهدي من بعدي (الطوسي، ١٤١٤هـ ص ٢٨١).

واخبر عليه السلام بما سيفعله جعفر الكذاب، فقد روى الصدوق في إكمال الدين قال: حدثنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد قال: حدثنا سعيد بن عبد الله قال: حدثنا جعفر بن محمد بن الفرات، قال: اخبرنا صالح بن عمر بن عبد الله بن محمد بن زياد عن امه فاطمة بنت الهيثم المعروف بابن شبانة، قال: كنت في دار ابي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في الوقت الذي ولد فيه جعفر، فرأيت اهل الدار قد سروا به، فصرت إلى ابي الحسن، فلم أراه مسروراً بذلك، فقلت له: يا سيدي مالي أراك غير مسرور بهذا المولود؟ فقال: يهون عليك الأمر فانه سيضل خلقاً كثيراً (الصدوق، ١٤٠٥هـ ص ٢٣١). وغير ذلك من أمور اخبر بها؛ لان هذا فيض من غيض.

تولى عليه السلام إمامة المسلمين بعد أبيه الإمام الجواد عليه السلام بعد ان نص عليه، وكان الرسول عليه السلام قد نص على إمامة الاثنى عشر، ففي الحديث عن ابن عباس (رض) انه قال: دخلت على النبي عليه السلام والحسن على عاتقه والحسين على نحفه يلثمهما ويقبلهما ويقول: (اللهم وال من والاهما وعاد من عاداهما، ثم قال: يا ابن عباس كأني به وقد خضبت شيبته من دمه، يدعو فلا يجاب ويستنصر فلا ينصر، قلت: من يفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: شرار أمتي، ما لهم؟ لا أنالهم الله شفاعتي، ثم قال: يا ابن عباس من زاره عارفاً بحقه كتب له ثواب ألف حجة والى عمرة، ألا ومن زاره فكأثماً زارني، ومن زارني فكأثماً زار الله، وحق الزائر على الله ان لا يعذبه بالنار، وان الإجابة تحت قبته والشفاعة في ذريته

والائمة من ولده، قلت: يا رسول الله فكم الائمة بعدك؟ قال: بعدد حوارى عيسى وأسباط موسى ونقباء بني اسرائيل، قلت يا رسول الله فكم كانوا؟ قال: كانوا اثني عشر، والائمة بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد فإذا انقضى محمد فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة (الصدوق، ١٤٠٥هـ ص ١٨).

وقد روى الخزاز القمي بشأن النص عليه من قبل ابيه قال: حدثنا محمد بن علي قال: حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطار، قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري، قال: حدثنا حمدان بن سليمان، قال: حدثنا الصقر بن ابي دلف، قال: سمعت ابا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: الإمام من بعدي ابني علي، أمره امري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر ابيه وقوله قول ابيه وطاعته طاعة ابيه ثم سكت، فقلت له: يا بن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكي عليه السلام بكاءً شديداً ثم قال: ان بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر، فقلت له: يا بن رسول الله ولم سمي القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد اكثر القائلين بإمامته، فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ به الجاحدون ويكذب فيها الوقتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون (الخزاز القمي، ١٤٠١هـ ص ٢٨٤).

عاش الإمام الهادي عليه السلام من يوم ولد إلى سنة ٢٣٦هـ في المدينة المنورة بين الضيق والرخاء من قبل الخلفاء العباسيين، ضيقوا عليه في بداية امره بحجة التربية والتعليم ثم رفع الحصار عنه إلى ان جاء المتوكل العباسي الذي ضيق على الإمام كثيراً بعد ان وشاه الواشون، فسعى إلى إحضاره إلى سامراء ليكون تحت النظر، وذلك بعد ان كتب له عبد الله بن محمد امام الحرب والمحارب في مدينة

الرسول ﷺ الذي حسده على مكانته السامية ومقامه الرفيع وحب الناس له (الصدوق، ١٤٠٥هـ ص ٣٧٨)، فأحضر إلى سامراء وضيق عليه وعلى شيعته مدة عشرين عاماً سقي بعدها السم بعد ما تحمل من مرارة شديدة بين الضغط والحبس والضيق وتهديد عام ٢٥٤هـ على يد المعتمد العباسي بأمر من أخيه المعتز، وقبل وفاته الشريفة أوصى وصاياه، وقد نص على إمامة ولده الحسن العسكري بمشهد ثقة من أصحابه، وساعة احتضاره احضر ابنه أبا محمد الحسن ﷺ ولم يحضر سواه من ولده ﷺ فأعطاه النور والحكمة ومواريث الانبياء والسلاح وأوصى إليه ومضى وعمره الشريف أربعون عاماً (المسعودي، ١٣٧٤هـ ص ٢٣٤).

٢- الإمام أبو محمد الحسن العسكري ﷺ

هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، ابو محمد العسكري، وهو الكوكب الحادي عشر من كواكب العترة الطاهرة الذين حملوا رسالة الإسلام، وتبنوا أهداف الدين الحنيف، ووهبوا حياتهم في سبيله.

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ (الكليني، ١٣٨٨هـ ج ١، ص ٥٠٣)، وقيل ولد في المدينة (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٥٠، ص ٢٣٥)، وقيل في سامراء (ابن الجوزي، ١٣٨٣هـ ص ٣٢٤)، وقد فرض الظرف السياسي والاجتماعي على الإمام الهادي ان يجعل ابنه الإمام الحسن العسكري ﷺ في الظل بعيداً عن الأضواء بصورة عامة، فلم ينوه بعضهم شأنه وجلالة منزلته إلا أمام خواصه وثقاته من الشيعة من اجل الحفاظ عليه من طواغيت العاصمة العباسية آنذاك. ولعل هذا هو السبب في تردد بعض الشيعة في الاعتقاد بإمامته بعد أبيه ﷺ حتى قال ﷺ: (ما مني أحد من آبائي بمثل

١. انظر حياة الإمام الهادي، محمد جواد الطنبي، صص ٣٥٢-٣٥٣، فقد اشبع الموضوع بحثاً عن قتل الإمام الهادي ﷺ.

ما مُنيت به من شك هذه العصابة فيّ) (ابن شعبة الحراني، ١٤٠٤هـ ص ٤٨٧).

ولا ريب أنّ ما قام به الإمام الهادي عليه السلام في سبيل المحافظة على سلامة وبقاء الإمام العسكري كان لازماً من أجل استمرار سلسلة الإمامة حتى آخر حلقاتها المقدسة.

ومن الأحداث التي عاشها في ظل والده حادثة زواجه من مليكة بنت يشوعا بن قيصر الملك، وقيل ان اسمها: مريم، صيقل، ريحانة، حكيمة، نرجس (الخصيبي، ١٤١١هـ ص ٣٢٨).

وقصة زواجه منها قصة عجيبة، ان دلت على شيء فانما تدل على مكانتها السامقة إذ اختارها المولى تبارك وتعالى لتكون زوجة وصي وأم لوصي، فقد روى الصدوق في كمال الدين قصة زواجه العجيبة تلك، ولكونها طويلة نحاول الاختصار على موضع الشاهد منها. فقد أرسل الإمام الهادي نخاساً يقال له: بشر ليشتري له جارية أعطاه أوصافها وثمنها مع كتاب مختم عليه ختم الإمام الهادي بالرومية، فاشترى تلك الجارية التي أبت ان يشتريها احد إلا من رأت أوصافه في عالم الرؤيا، فقد رأت وكأنها تخطب من قبل رسول الله ﷺ من مولاها عيسى المسيح عليه السلام للإمام العسكري، وبعد ان اشتراها بشر وجاء بها إلى الإمام الهادي، يقول بشر: فلما انكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولانا ابي الحسن الهادي عليه السلام فقال لها: كيف أراك الله عز الإسلام وذل النصرانية وشرف اهل بيت محمد ﷺ؟ قالت: كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت اعلم به مني؟ قال: فاني أريد ان أكرمك، فأبما أحب إليك عشرة آلاف درهم أم بشرى لك فيها شرف الأبد؟ قالت: بل البشرية، قال عليه السلام: فابشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، قالت: ممن؟ قال عليه السلام: ممن خطبك رسول الله ﷺ من ليلة كذا من سنة كذا بالرومية، قالت: من المسيح ووصيه، قال: فمن زوجك المسيح ووصيه؟ قالت: من ابنك ابي محمد، قال: فهل تعرفيه؟ قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته اياي منذ الليلة التي اسلمت فيها على

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى، ٢٣)، فاعلموا أنّ من يبخل فإنّما يبخل على نفسه إنّ الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه لا إليه إلا هو فاعملوا من بعد ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين (الطوسي، ١٤١٢هـ، ص ٥٦٧) فقد أبان الإمام عليه السلام دور الأئمة عليهم السلام بتصحيح العقائد وعدم انحراف الناس، فقوله عليه السلام: (لكنتم خياراً كالبهائم) دليل على الدور العظيم المنوط بهم عليه السلام، كذلك دليل على مصير من انحرف عن نهجهم القويم؛ لأن الانتماء لهم ليس مجرد دعوى، بل هو ارتباط عقائدي ومنهج سلوكي يقتضي الإيمان بالله والتصديق برسوله ومعرفة أوليائه، وبذلك حدد عليه السلام مبدأ الولاية لله وللرسول ﷺ ولعترته الطاهرة.

٧٩

التاريخ والحضارة الإسلامية
مروية بهجتها الفصحى

مكانة المرأة في فكر الإمامين العسكريين عليه السلام

ولقد كان الإمام عليه السلام فذاً من أفذاذ العقل البشري بمواهبه وطاقاته الثقافية والعلمية، كما كان بطلاً من أبطال التاريخ، وذلك بصموده امام الأحداث، وبيارادته الصلبة تجاه الحكم العباسي المنحرف، فقد تورد الإمام على نظمه الفاسدة، وسعى إلى تحقيق الحق والعدل بين الناس (شريف القرشي، ١٤٠٩ق، ص ٧). كانت له عليه السلام ألقاب كثيرة، منها:

- ١- العسكري: نسبة إلى سكنه في سامراء التي كانت ثكنة عسكرية.^١
 - ٢- الزكي ٣- الخالص ٤- الصامت ٥- السراج ٦- الخالص ٧- الهادي ٨-
- التي وهو اتقى إنسان في عصره واشد الناس تمسكاً بالدين والاعتصام بالله (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٥٠، صص ٣٢٥-٣٣١).

كان اعلم اهل زمانه باتفاق المترجمين له عليه السلام بل أفضلهم لا في شؤون الشريعة وأحكام الدين فحسب وإنما في جميع العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية، مما

١. بحر الأنساب، ص ٢، كتاب مخطوط مجهول المؤلف موجود في مكتبة الإمام امير المؤمنين في النجف الاشرف، تحت رقم ٦، ورقة ١٧٠

حدا بطبيب نصراني للاعتراف بعلبه ﷺ، الا وهو الطبيب بختيشوع المسيحي، اذ قال لتلميذه: (وهو اعلم في يومنا هذا ممن هو تحت السماء) (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٥٠، ص ٢٦١).

ولوان طغاة بني العباس فسحوا المجال لأئمة اهل البيت ﷺ ولم يفرضوا عليهم الرقابة المكثفة للمأوا الدنيا بعلومهم ومعارفهم، ولشاهدت الإنسانية الواناً من العلوم والتطور الفكري لم تعهده في جميع عصورها وادوارها.

كان ﷺ مثلاً للأخلاق والانطباع الخلقى المتكامل، وانموذجاً عجبياً في خصائص تكوينية متأصلة، وحقيقة إنسانية جامعة لظواهر ذاتية كريمة، شأنه بذلك شأن آبائه الطاهرين، وهم ﷺ يلتقون جميعاً في الصفات، فلقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له» (الهيتمي، ١٤٠٢هـ ج ٩، ص ١٧٨).

وهذا الحديث له مداليل عدة، فالدلالة التشريعية فيه تعني وجوب طاعتهم وفرض ولايتهم، ونجاة من اتبعهم، وضلالة من خالفهم. والدلالة الإيحائية توحى بأنهم خلاصة البشرية في الانتقاء، والمثل الأعلى في التمحيص والاصطفاء، فالنبي لا يتحدث من ناحية عاطفية قط، ولا يتحدث من خلال مناخ أسري محدود، إنما ينطق في تقريره بوحى من السماء (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (النجم، ٣-٤) (علي الصغير، ١٤٣٠هـ صص ٣٦-٣٧).

من هنا اجتباهم الله تعالى؛ لامتلاكهم صفات خارقة امتاز بها كل إمام من الأئمة ﷺ، ثم ليلتقوا بعد ذلك بمزايا متقاربة الأبعاد، ويتحصنوا بخصائص متشاكلة الانتماء، فلا فرق بين إمام وإمام في مجموعة الظواهر الذاتية، إلا أن هناك مميزات اشتهر بها كل إمام منهم ﷺ، فالتصقت به ذيوهاً، وعرف بها انتشاراً، فكان ﷺ نبتة من تلك الشجرة الثابت أصلها في السماء، المتشاكلة الفروع في الأرض، تؤتي أكلها كل حين.

لم يرو لنا التاريخ أنه جزع لأمر من أمور الدنيا سوى أمرين سجلهما التاريخ هما، الأول: عند وفاة أخيه محمد ﷺ إذ تأثر تأثراً بالغاً حتى انه شق جيبه حزناً على فقده، فقد نقل المفيد في ارشاده عن الحسن الافطس: انهم حضروا يوم توفي محمد بن علي بن محمد دار أبي الحسن ﷺ وقد بسط له في صحن الدار والناس جلوس حوله، فقالوا: قدرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب ومن بني العباس وقريش مائة وخمسون رجلاً سوى مواليه وسائر الناس، إذ نظر إلى الحسن بن علي ﷺ وقد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه، فنظر إليه أبو الحسن ﷺ بعد ساعة من قيامه ثم قال: «يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك امرأ»، فبكى الحسن ﷺ واسترجع وقال: «الحمد لله رب العالمين، وإياه اسأل تمام النعمة علينا وإنا لله وإنا إليه راجعون» فسألنا عنه فقيل لنا: هذا الحسن بن علي ابنه وقدرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة ونحوها، فيومئذ عرفناه وعلمنا أنه قد أشار إليه بالأمامة واقامه مقامه (المفيد، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٣٣٦). وهذه الرواية إن صحَّ سندها فإنما تكشف عن قوة ومتانة العلاقة الروحية بينه ﷺ وبين أخيه محمد.

الثاني: عند استشهاده والده الإمام الهادي ﷺ روى المسعودي قائلاً: (ثم فتح من صدر الرواق باباً وخرج خادم أسود، ثم خرج بعده أبو محمد حاسراً، مكشوف الرأس، مشقوق الثياب وعليه مبطنة بيضاء وكان وجهه وجه أبيه لا يخطيء منه شيئاً...) (المسعودي، ١٣٧٤هـ ص ٢٣٥).

وقد كتب ابو عون الابرش قرابة نجاح بن سلمة: من رأيت؟ أو بلغك من الأئمة شق ثوبه في مثل هذا؟، فكتب أبو محمد ﷺ: يا أحمق وما يدريك ما هذا، قد شق موسى على هارون (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٥٠، ص ١٩١).

ونحن إذ ننقل هاتين الروايتين لا نعترض على فعل المعصوم فهو أعلم بتكليفه الشرعي، فقد اعترض احدهم على الإمام العسكري في مسألة شق جيبه، فما كان نصيبه من الإمام بعد الرد عليه إلا اللعنة، وابتلي المعترض آخر عمره بالجنون؛ لأنَّ عدم الإتيان بفعل لا يكون دليلاً على حرمة، إذ يمكن أن الفعل

لا يكون حراماً مع أنّ احداً لم يأت به والله اعلم (الطبيسي، ١٤٢٤هـ ص ٥٧).
 لاقى الإمام العسكري من العباسيين ما لم يلقه إمام غيره من الظلم
 والاضطهاد، فقد قضى سلام الله عليه أيام حياته القصيرة الأمد بالحن
 والخطوب، إذ جهد ملوك العباسيين على ظلمه وانزال أقسى العقوبات به، فكانوا
 ينقلونه من سجن إلى سجن وضيقوا عليه في حياته الاقتصادية وجبوه عن الالتقاء
 بشيعته، كما منعوا العلماء والفقهاء من الانتهال من ثمر علومه، وهذا كان أشد ما
 لقيه منهم.

ولعل أسباب حقدهم عليه تعود إلى:

- ١- انتشار فضائل الإمام بين أطراف الأمة، حتى ذهب شطر منهم إلى القول
 بإمامته.
- ٢- كثرة الوشاية بالإمام، إذ إنّ العملاء والمرتزة والمتزلفون للسلطة كثيرون،
 فكانوا يفترون عليه بأنّ هناك أموالاً كثيرة ترد عليه من شيعته التي كانت عبارة
 عن حقوق شرعية، بينما ظنّ هؤلاء أنّه يعدّ العدة للثورة على سلطان العباسيين.
- ٣- خوف العباسيين من ولده الإمام المنتظر عليه السلام الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وأخبر
 عنه أكثر من مرة بأنّ هناك مصلحاً سوف يظهر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً
 بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

٤- نتيجة تركّز الأموال بيد العباسيين وعدم إعطائهم حقوق الأمة الإسلامية،
 قامت ثورات عديدة كان قوادها العلويين، نخاف العباسيون؛ لأنّ هذه الثورات
 قوبلت بتأييد من قبل الأمة، فأوغلت قلوبهم حقداً وضغينة على العلويين،
 فطاردهم في كل حذب وصوب، وكان الإمام سيد العلويين فن الطبيعي أن
 يناله ما نال قومه وابناء عمومته (انظر: باقر شريف القرشي، ١٤٠٩هـ صص ٢٤٧-٢٦٢).

تسبّب كل هذا في عزم المعتمد العباسي على اغتيال الإمام العسكري، فدرّس
 له سمّاً قاتلاً (المفيد، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٣٨٣)، فلما تناوله الإمام تسمّم بدنه الشريف،
 ولازم الفراش وأخذ يعاني آلاماً مريرة وقاسية وهو صابر يحتسب ذلك عند الله،

وفي مرضه هذا أوصى لولده محمد الذي تكتم على موضوع ولادته أيما تكتم، فمما روي في ذلك ما نقله محمد بن عثمان العمري عن أبيه يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي وأنا عنده عن الخبر الذي روى عن آبائه أن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، ان هذا حق كما أن النهار حق، وانبرى إليه شخص فقال له: يا بن رسول الله، فن الحجة والامام بعدك، فأجابه الإمام: «ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما أن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقتون، ثم يخرج فكأنني انظر إلى البيض تحفق فوق راسه بنجف الكوفة» (الخرزاق القمي، ١٤٠١هـ ص ٢٩٦).

٨٣

التاريخ والحضارة الإسلامية
مروية بهجت الخوري

مكانة المرأة في فكر الإمامين العسكريين (عليه السلام)

وقد خسرت الامة الإسلامية أعظم مصلح في زمانه، فقد فقدوا القائد والموجه والمصلح. وبعد ان سرى خبر استشهاده في سامراء هرع المسلمون إلى داره ما بين باك ونائح، وكانت سامراء شبيهة بالقيامة (المفيد، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٣٨٣)، ثم صلى عليه ولده الإمام محمد المنتظر عليه السلام، ثم نقل جثمانه إلى مقره الاخير فدفن في داره إلى جانب أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام، وقد وارى المسلمون معه صفحة من صفحات الرسالة الإسلامية، وبهذا تكون سامراء قد تشرفت أرضها ببدرين من أئمة المسلمين وقادتهم، وصارت في طليعة الأماكن المقدسة في دنيا الإسلام، وهي حافلة في كل وقت بالزائرين من جميع الأقاليم والأقطار زواراً للمرقدين الشريفين إلى ان جاء دور الطائفية البغيضة في عصرنا الحاضر، فقامت ثلة كافرة منحرفة عن الإسلام، ثلة من الوهابيين السلفيين بتدريس الضريحين ثم تفجيرهما، فكان يوم الاربعاء المصادف ٢٠٠٦/٢/٢٢ يوماً اسوداً أضاف عاراً آخر إلى سجل تنظيم القاعدة الوهابي، إذ قامت مجموعة منهم باقتحام حرم الامامين العسكريين بعد ان قيدوا شرطة حماية المرقد، ثم زرعوا عبوتين ناسفتين تحت العتبة المباركة وقاموا بتفجيرها، وقد وقع الهجوم عند الساعة السابعة صباحاً، فانهارت القبة المغطاة بالذهب جراء هذا التفجير، فكانت هذه واحدة من

تتاجت الفكر التيموري الذي أفتى بأن المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بتهديم أو بغيره، والتخطيط الرامي إلى أحداث الفراغ الهائل في كيان الأمة والمعول الهدام الهادف إلى تقويض معالم الاخوة والمحبة بين ابناء هذا الدين الحنيف، ولتحل الفوضى بدل السلام، والإرهاب الدموي بدل الاستقرار السياسي، واختلاط الحابل بالنابل في عدم تشخيص أعداء الأمة والشعب والوطن (علي الصغير، ١٤٣٠هـ ص ٣٣٦).

المطلب الثالث: مكانة المرأة عند الامامين العسكريين عليهما السلام

وكما أسلفنا فإن الإسلام اهتم بالمرأة أيما اهتمام ومنحها مكانة عظيمة وسامقة وحفها بحقوق، كما أن عليها واجبات؛ كونها جزءاً عزيزاً من المجتمع وركناً أصيلاً من أركان الأسرة المسلمة وعضواً نافعاً من أعضاء المجتمع الإسلامي، تتحمل قسطاً عظيماً من أعباء الدعوة إلى الله تعالى، فقد تلقت الخطاب الإلهي كما تلقاه صنوها الرجل، ليأتي بعد ذلك الخطاب القرآني والإرشاد النبوي الكريم بتلقي التكليف؛ لأنها مشمولة بالخطاب التشريعي المتصدر بالنداء الإيماني أو غيره من صور الخطاب، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (المائدة، ١) وقوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ) (البقرة، ٤٣) وقول النبي صلى الله عليه وآله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (بخاري، ١٤٠١هـ ج ١، ص ٩)، وهذا يشمل كل أفراد المسلمين رجالاً ونساءً، شباباً وفتياناً بنين وبنات.

من هنا جاء اهتمام أئمة الهدى بالدور العظيم الذي تلعبه المرأة، فحسبوا لها الف حساب؛ لأنها الحضن الذي منه يدرج الرجل، باعتبارها الأم المريية، والأخت المشفقة، والابنة البارة، والزوجة المخلصة، والرحم القريبة، وهي المعلمة والمريية، والمدرسة، إنها نصف المجتمع وينبوعه، فصلاحيها صلاح المجتمع، وفسادها انهيار المجتمع.

المرأة بالنسبة للائمة الهداة المهديين عليهم السلام تعني الزهراء المظلومة عليها السلام؛ لأنها القدوة التي قال عنها الرسول محمد صلى الله عليه وآله: «كلم من الرجال كثير ولم يكلم من النساء إلا مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» (البخاري، ١٤٠١هـ ج ١، ص ٩).

المرأة بالنسبة لهم عليهم السلام تعني زينب الحوراء التي وقفت أمام اعتراف طغاة التاريخ لتقول له: «فكك كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تحو ذكركنا، ولا تميم وحيننا، ولا تدرك امدنا» (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٤٥، ص ١٣٥).

المرأة بالنسبة لهم عليهم السلام تعني الحضن الذي درج وتربى في كنفه الإمام المعصوم، تعني فاطمة بنت أسد، وحميدة المصفاة، وكنثم، وفاطمة المعصومة، وحكيمة، ونرجس، ... وقد كان للإمامين العسكريين حديثاً شيقاً عن المرأة وعن دورها في الحياة العامة، وحياة المعصوم بصورة خاصة.

١- مكانة المرأة في فكر الإمام الهادي عليه السلام

عندما يمدح المعصوم امرأة ما، فإنّ هذا يعني الكثير، يعني أنّها امرأة عظيمة الشأن، لها مكانة عظيمة عند الباري عزّ وجل، فهذا هي كلمات الإمام الهادي عليه السلام في مدح امه الطاهرة ظلت على مدى الزمان ترن في أذن التاريخ، فقال عليه السلام: «أُمِّي عارفة بحقي، وهي من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها جبار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ولا تختلف عن أمهات الصديقين الصالحين» (الطبري، بلا تاريخ، ص ٢١٦). وأهل مكة أدري بشعابها، فهذا الإمام المعصوم يقيم هذه المرأة العظيمة بهذه الكلمات التي تبين مكانتها وعلو شأنها في الدنيا والآخرة، فهي في الدنيا - وكما يقول صاحب عيون المعجزات -: (كانت من القانتات) (حسين بن عبد الوهاب، بلا تاريخ، ص ١٣٠). لا يقربها الشيطان ولا كيد جبار عنيد، فقد نقل المسعودي من قصة زواج هذه المرأة بالإمام الجواد عليه السلام أنّه قال على لسان محمد بن الفرّج وغيره: دعاني ابو جعفر فاعلمني ان

قافلة قدمت فيها نخاس معه رقيق ودفع إليّ صرة فيها ستون ديناراً ووصف لي جارية معه بحليتها وصورتها وأمرني بابتاعها، فبضيت واشتريتها بما استام، وكان سومها بها ما دفعه إليّ، فكانت تلك الجارية أم أبي الحسن واسمها جمانة وكانت مولدة عند امرأة ربّتها واشتراها النخاس، ولم يقض له أن يقربها حتى باعها (المفيد، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٣٠٧). فليس من عادة النخاسين عدم التقرب من جواريتهم، لكنه الحفظ الالهي لهذه المرأة، فلم يصبا كيد جبارعنيد، أما في الآخرة فإنّ هذه المرأة مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تختلف عن امهات الصديقين والصالحات كما قال الإمام.

هذا فيما يخص أمه، أما فيما يخص زوجة الإمام العسكري (نرجس) - كتنه-، فإنّه يخاطب أخته حكيمة فيها قائلاً: «يا بنت رسول الله أخرجيا إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام» (الصدوق، ١٤٠٥هـ ص ٤٢٣)، فانظر إلى أدب الحديث مع أخته حكيمة كيف يخاطبها بقوله: يا بنت رسول الله، ولا يقول لها يا اختاه؛ لعلمه أنّ شرف الانتساب لرسول الله صلى الله عليه وآله اعظم من شرف كونها أخته؛ كذلك لعلمه بمكانة حكيمة، فقد كانت (رض) كما يصفها العلماء (النجبية العاملة الفاضلة التقية، وكانت ام الحجة عندها، وكانت هي من السفراء تزيها الحجة عليه السلام حيناً بعد حين، وصدرت من يدها توقيعات شريفة من قبل الناحية المقدسة الحجة) (الحائري، ١٤٠٧هـ ج ٢، ص ٢٢).

قال احمد بن ابراهيم دخلت عليها سنة ٢٦٢هـ بالمدينة، فكلمتها من وراء الحجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم به، ثم قالت: فلان بن الحسن عليه السلام فسمته، فقلت لها: جعلني الله فداك، معاينة أم خبرا؟ فقالت: خبرا عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلى أمه، فقلت لها: فأين المولود، فقالت: مستور، فقلت: فألي من تفرع الشيعة؟ فقلت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام، فقلت لها: اقتدي بمن وصيته إلى امرأة؟ فقالت: اقتداءً بالحسين بن علي عليه السلام، إنّ الحسين أوصى إلى أخته زينب بنت علي عليه السلام في الظاهر وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من حكم

ينسب إلى زينب تسترا على علي بن الحسين عليه السلام ثم قالت: إنكم قوم أصحاب أخبار ما رويتم أن التاسع من ولد الحسين عليه السلام يقسم ميراثه وهو في الحياة (الحائري، ١٤٠٧هـ ج ٢، ص ٢٣).

وما تكليف أخيها الهادي عليه السلام بأن عهد إليها بزجس لتعلمها الفرائض والسنن إلا دليلاً آخرًا على علمها ورجاحة عقلها، وقد أخبر عليه السلام بشر النخاس عن مواصفات زجس عندما أرسله لشرائها قائلاً له: «... فإذا رأيت ذلك فاشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك إلى ان يبرز للبتاعين جارية صفاتها كذا وكذا، لابسة حريرتين صفيقين، تمتنع من السفور ولمس المعترض والانتقياد لمن يحاول لمسها، ويشغل نظرة بتأمل مكاشفها من وراء الستر الرقيق» (الصدوق، ١٤٠٥هـ ص ٤١٨).

٨٧

التاريخ والحضارة الإسلامية
مرحلة نهضة الحضارة

مكانة المرأة في فكر الإمامين العسكريين عليهما السلام

في هذا الخبر أراد الإمام الهادي عليه السلام أن يبين لبشر النخاس أي النساء هن أمهات الأوصياء، فهذه المرأة الشريفة والعفيفة تمتنع ان يلبسها احد من الرجال، دلالة على الطهر والعفة التي كانت عليها، وكذلك فهي (تمتنع عن السفور)؛ لأن آل الرسول مثال للامثال الالهي، فكيف يقترن احدهم بأمرأة هاتكة لحجابها، فهذا جدهم الإمام الحسين عليه السلام يوصي زينب عليها السلام في ساحة الوغى قائلاً لها: «لا تشقي عليّ جيباً، ولا تخشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت» (المفيد، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٩٤).

فهم اهل بيت طاهر، نسأؤهم نقيات الجيوب، طاهرات من العيوب، فكانت زجس - وان لم تكن تعرف الإسلام حتى سعدت برؤياها المباركة بزواجها بالإمام العسكري - طاهرة عفيفة، هذا إضافة لما تحمله من علم، فهي عارفة أدبية وعالمة باللغة العربية، هذا ما أشارت اليه عند حديثها مع بشر النخاس، إذ قالت: بلغ من ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب ان اوعز إلى امرأة ترجمان له في الاختلاف إليّ، فكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتفيدني العربية حتى استمر عليها لساني واستقام (المفيد، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٩٤).

فكان العفاف والحجاب والعفة من الأمور التي أوصى بها أهل البيت نساء الأمة، حتى وصل به عليه السلام على حث الرجال بالترين لنساءهم خوف انحراف المرأة وخروجها عن الطريق السوي، فقد نقل الحسن بن الجهم قوله: دخلت على أبي الحسن عليه السلام وقد اختضب بالسواد فقلت: اراك قد اختضبت بالسواد؟ فقال: «وان في الخضاب لاجراً، والخضاب والتهيئة مما يزيد الله عزّ وجل في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك ازواجهن لهن التهيئة» (الكليني، ١٣٨٨هـ ج ٦، ص ٤٨٠)، عندئذ روى عليه السلام حديثاً عن أبي جعفر عندما دخل عليه قوم فأروه محتضباً بالسواد فسألوه فقال: «إني رجل احب النساء وانا أتصنع لهن» (الكليني، ١٣٨٨هـ ج ٦، ص ٤٨٠). وكان سلام الله عليه يوصي بالخضاب، فلما سئل عن سبب ذلك قال: «في الخضاب ثلاث خصال: مهيبة في الحرب، ومحبة إلى النساء، ويزيد في الباه»، فهنا الإمام عليه السلام يقر بمبدأ ضرورة اهتمام الرجل بمظهره وهيأته امام المرأة، لا كما يقول الآخرون ان المرأة هي التي يجب عليها التهيؤ والاهتمام بمنظرها الخارجي لتجذب زوجها اليها، فهذا يقر مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء على حد سواء.

٢- مكانة المرأة في فكر الإمام العسكري عليه السلام

وكما قلنا سابقاً فإنّ المرأة بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام تعني ذلك المخلوق اللطيف الذي خلقه تعالى كآية من آيات خلقه، وتجلي من تجليات الخالق عزّ وجل، فهذا أبوهم أمير المؤمنين عليه السلام يقول عنها: «عقول النساء في جملهن، وجمال الرجال في عقولهم» (الصدوق، ١٤١٧هـ ص ٢٩٨)، ويقول عليه السلام: «لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة» (الکراچکی، ١٤١٤هـ ج ٥، ص ٣٨٧). أي ان المرأة ريحانة وزهرة تعطر المجتمع بعطر الرياحين والزهور، فقد وردت كلمة الريحان في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ

المُقَرَّبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴿ (الواقعة، ٨٨-٨٩)، والريحان هنا كل نبات طيب الريح مفردته ريحانة، وهي تعني الرحمة، فقد وضع الإمام علي عليه السلام المرأة في مكانها المناسب الذي وضعها الله تعالى فيه إذ لم يجعلها مشقة الخدمة والعمل في المنزل واعتبر اجر ما تقوم به من أعمال في رعاية بيتها كأجر الجهاد في سبيل الله، فهو يصفها بأنها ريحانة، فالريحان معناه الجميلة والعطرة والطيبة التي تسر الناظر إليها.

من هذه النظرة الموروثة للمرأة عند الأئمة عليهم السلام نجد ان الإمام العسكري كذلك ينظر إليها كما نظر إليها أمير المؤمنين عليه السلام نظرة تقديس وإجلال، فهو عندما يُسأل عن الزهراء عليها السلام لم سميت فاطمة الزهراء فقال: « كان وجهها يزهر لأمر المؤمنين من أول النهار كالشمس الضاحية وعند الزوال كالقمر المنير وعند الغروب غروب الشمس كالكوكب الدرّي » (ابن شهر آشوب، ١٣٧٦هـ ج ٣، ص ١).

وقد اوصلها إلى العظمة وغاية الرفعة عندما قال: انها حجة الله على حجج الله، فيقول عنها: « نحن حجج الله على الخلائق، وأما فاطمة حجة الله علينا » (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٤، ص ٥٥) فهو عليه السلام هنا يتحدث عن الزهراء عليها السلام التي تساوي ابياها في خلقه النوري حينما قال في حقها: « فاطمة رُوحِي التي بين جنبي » (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٤، ص ٦) وربما ان مفردة (جنبي) تشير إلى جنب العلم وجنب العمل، فهي تحمل روح النبي بعلبه وعمله وكل كالاته العلمية والعملية إلا النبوة، فهي الاحمد الثاني، وهي روحه التي بين جنبيه.

ويحتمل ان تكون اشارة الجنين إلى النبوة المطلقة والولاية العامة، فقد ورد في الخبر النبوي الشريف: « ظاهري النبوة وباطني الولاية » (المسعودي، بلا تاريخ، صص ١٧-١٨)، من هنا صارت فاطمة (حجة الله على حجج الله) كما اشار إلى ذلك الامام عليه السلام، وهذه المكانة العظيمة لها سلام الله عليها قد علمها كل انبياء الله السابقين على رسولنا محمد صلى الله عليه وآله، حتى امنا حواء وابونا ادم، ففي الحديث المروي

ايضاً عن العسكري عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم وحواء تجتريا في الجنة، فقال ادم لحواء: ما خلق الله خلقاً هو احسن، فوحي الله إلى جبرائيل: ائت بعدي الفردوس الاعلى، فلها دخلا الفردوس نظراً إلى جارية على درنوك من درانيك الجنة وعلى رأسها تاج من نور وفي اذنيها قرطان من نور وقد اشرفت الجنان من حسن وجهها، فقال آدم: حبيبي جبرائيل: من هذه الجارية التي قد اشرفت الجنان من حسن وجهها، فقال: هذه فاطمة بنت محمد نبي من ولدك يكون في آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلمها علي بن ابي طالب عليه السلام» (المجلسي، ١٤٠٣هـ ج ٤٣، ص ٥٢).

ومن هذه الكرامة فقد اشتق الباربي عزّ وجل أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الباربي قد شق لها إسماً من أسمائه، فقال صلى الله عليه وسلم: «شق الله لك يا فاطمة اسماً من أسمائه فهو الفاطر وأنت فاطمة» (الحرّ العاملي، ١٤٠١هـ ج ٢٠، ص ٢٣).

وجاء عن يونس بن ظبيان قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: «لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصديقة والمباركة، والطاهرة والزكية، والراضية والمرضية والمحدثة والزهراء» (الصدوق، ١٤١٧هـ ص ٤٧٤).

وهذا دليل على ان أكثر أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام هي من وضع الله تعالى وهو الذي سماها بهذه الأسماء المباركة.

والزهراء ذلك الاسم العظيم الذي أشار الإمام الحسن العسكري إلى سبب تسميتها به، وقد أشارت عائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مصداق ما ذهب اليه الإمام العسكري عليه السلام حينما قالت: كما نخيظ ونغزل وننظم الابرة بالليل في ضوء وجه فاطمة الزهراء عليها السلام، وقالت اذا أقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت لا تحيض قط لأنها خلقت من تفاحه الجنة، ولقد وضعت الحسن بعد العصر، وطهرت من نفاسها فاغتسلت وصلت المغرب، ولذلك سميت الزهراء (الصدوق، ١٤١٧هـ ص ٤٧٤)، هذا فيما يخص الزهراء عليها السلام، اما ما يخص عامة النساء

فقد سأل الفهفي أبا محمد عليه السلام: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟ فقال أبو محمد عليه السلام: «إن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقه ولا عليها معقلة، إنما ذلك على الرجال»، فقلت في نفسي: قد كان قيل لي: ان ابن ابي العوجاء سأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه المسألة فأجابه بهذا الجواب، فقال أبو محمد عليه السلام: «نعم هذه مسألة ابن ابي العوجاء والجواب منا واحد اذا كان معنى المسألة واحداً، جرى لآخرنا ما جرى لأولنا وأولنا وآخرنا في العلم سواء ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين فضلها» (شوشتری، ۱۴۰۴هـ ج ۹، ص ۱۶).

ونحن عندما نقول ان الإمامين العسكريين امتداد لائمة اهل البيت عليهم السلام فهذا الكلام ليس محظ ادعاء أو مغالاة، فحديث الإمام المتقدم يثبت ذلك، وليثبت أيضا ان منهمم واحد وحكمهم واحد؛ لان مصدرهم واحد وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي وحديث جدي حديث علي ابن ابي طالب امير المؤمنين وحديث علي امير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول الله عز وجل» (الكليني، ۱۳۸۸هـ ج ۷، ص ۶۵). فهذا امير المؤمنين عندما يقول عن النساء: «إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ» (المفيد، ۱۴۱۴هـ ج ۲، ص ۱۸۷)، يفسر سبب نقصان حظوظهن بقوله: اما نقصان حظوظهن فموارِيثهن على الأنصاف من موارِيث الرجال (ابن ابي الحديد، ۱۳۷۸هـ ج ۶، ص ۲۱۴)، والإمام العسكري أيضا كان جوابه مثل ما أجاب به جده علي امير المؤمنين عليه السلام لأن الثابت عندهم عليهم السلام ان المال لا قيمة له في تقسيم الشخصية سلباً أو إيجاباً. ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد ذلك إننا نرى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي اليوم الأول الذي وطأت قدماه الشريفتان أرض المدينة مهاجرا إليها من مكة قد استقبل استقبالاً رائعاً من اهل المدينة بما فيهم كبار التجار ورؤساء القبائل، وقد استعد الجميع لاستضافته صلى الله عليه وآله وسلم والقيام بخدمته لكنه صلى الله عليه وآله وسلم رفض جميع ذلك وترك الأمر للمشيئة الإلهية وقال لهم: «دعوا الناقة فإنها مأمورة فأينما ناخت الناقة فهو المنزل الذي سأحل فيه» (ابن ابي الحديد، ۱۳۷۸هـ ج ۶، ص ۲۱۴).

وبالفعل ناخت الناقاة امام باب أفقر إنسان في المدينة، ولذلك فالفقر المالي ليس نقصاً، كما أنّ الغنى المالي ليس كمالاً.

وقد اخذ امير المؤمنين عليه السلام هذا الحكم عن القرآن الكريم الذي على الرغم من اهتمامه بالمرأة وحقوقها لم يغفل عن صفة الأنوثة في المرأة كما لم يغفل عن صفة الذكورة عند الرجل بل نظر إلى المرأة مراعيًا فيها طبيعتها الانثوية، وجعل احكامه المتعلقة بها تنسجم معها على أساس كونها امرأة، فالمرأة في القرآن الكريم هي المرأة في الطبيعة، والحكم التشريعي منطبق ومنسجم مع الوجود التكويني لها؛ لذا نرى جواب الإمام العسكري جاء مطابقاً مع جواب اسلافه عليهم السلام الذي نحى نفس المنحى الذي انتهجه القرآن الكريم في نظره إلى المرأة، فكان هذا جزءاً من قيمتها ومكانتها عندهم عليهم السلام. فهو عليه السلام عندما يُسأل عن حكم امرأة طلقها زوجها وأخرى مات عنها زوجها هل لها الحق في الخروج من بيتها للعمل لعدم وجود المعيل؟ فيجيب عليه السلام عن حكم الأولى بقوله: لا بأس بذلك اذا علم الله الصحة منها، ويجب عن الثانية: لا بأس بذلك ان شاء الله، فهذا دليل على حرص الإسلام على ضرورة حفظ المرأة لماء وجهها فلا تهرقه من اجل دراهم معدودة، ولا يتبع عرضها وشرفها كذلك من اجل نفس تلك الدراهم، فهذه هي المرأة عندهم عليهم السلام أرادوها ربحانة وليست قهرمانه، أرادوها شجرة شامخة في الأعالي دونما شائبة تنجس اردانها وتجعلها أسفل السافلين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

نتيجة البحث

ها نحن قد وصلنا إلى نهاية المطاف، ومسك الختام ما توصل إليه البحث من نتائج علنا نكون قد أعطينا الموضوع حقه وأشبعناه دراسة وفائدة تعم الجميع:

- ١- ثبت ان الإسلام قد أعطى للمرأة ما لم يعطه ديننا غيره.
- ٢- تبين ان المرأة بشخصيتها الأصيلة وأعمالها الجليلة تستطيع ان تقيم البرهان

- على أنها شطر المجتمع الذي لا يستهان به بحال من الأحوال.
- ٣- ثبت ان القرآن الكريم أعطى الافضلية، سواء للرجل أو للمرأة للعمل الصالح والإيمان والعلم لا لشيء اخر.
- ٤- تبين ان اهل البيت عليهم السلام قد وضعوا المرأة في نفس الموضع الذي وضعها القرآن فيه.
- ٥- للمرأة مكانة عند اهل البيت عليهم السلام اذا هي عرفت قيمتها، اما اذا كانت توافق من يسلبها هويتها الإسلامية، فلا تعني شيئاً لا عندهم ولا عند الناس جميعاً.

المصادر

١. ابن ابي الحديد، عز الدين ابو حامد. (١٣٧٨هـ). شرح نهج البلاغة (تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم). بيروت: دار إحياء الكتب العربية.
٢. ابن ابي جمهور الاحسائي، محمد بن علي بن ابراهيم. (١٤٠٣هـ). عوالي اللآلي العزيزية في الاحاديث الدينية (تحقيق: مجتبي العراقي). قم: مطبعة سيد الشهداء عليه السلام.
٣. ابن الاثير، عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني. (بلاتاريخ). اسد الغابة في معرفة الصحابة. بيروت: دار الكتاب العربي.
٤. ابن شعبة الحراني، ابو محمد الحسن بن علي. (١٤٠٤هـ). تحف العقول (تحقيق: علي اكبر الغفاري). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
٥. ابن شهر آشوب، منير الدين محمد بن علي. (١٣٧٦هـ). مناقب آل ابي طالب. النجف: المطبعة الحيدرية.
٦. ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤٠٧هـ). الافريقي لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٧. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري. (بلاتاريخ). تاريخ الامم وملوك (تاريخ الطبري). بيروت: دار الاميرة للطباعة.
٨. احمد بن حنبل. (بلاتاريخ). مسند احمد. بيروت: دار صادر.
٩. البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل. (١٤٠١هـ). صحيح البخاري. بيروت: دار الفكر.
١٠. الترمذي، محمد بن عيسى. (١٤٠٣هـ). سنن الترمذي (تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان). بيروت: دار الفكر.

١١. الجزائري، نعمة الله. (١٤٢٠هـ). النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين. تهران: منشورات الشريف الرضي.
١٢. الجزائري، محمد حسين. (١٤٠٧هـ). الاعلمي تراجم أعلام النساء. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٣. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن. (١١٠٤هـ). وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. قم: مؤسسة آل البيت للإحياء التراث.
١٤. الحر العاملي محمد بن الحسن. (١٤٠١هـ). اثبات الهداة. قم: المطبعة العلمية.
١٥. حسين بن عبد الوهاب. (بلا تاريخ). عيون المعجزات. النجف: المطبعة الحيدرية الاشرف.
١٦. الخزاز القمي، ابو القاسم علي بن محمد بن علي. (١٤٠١هـ). كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر. قم: منشورات بيدار، مطبعة خيام.
١٧. الخصبيني، الحسين بن حمدان. (١٤١١هـ). الهداية الكبرى. بيروت: مؤسسة البلاغ.
١٨. الخوارجي، ابو المؤيد الموفق بن احمد المكي. (١٤٢٣هـ). مقتل الإمام الحسين عليه السلام (تحقيق: محمد السماوي). قم: دار أنوار الهدى.
١٩. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي. (١٣٨٣هـ). ذكرة الخواص. النجف: المطبعة الحيدرية.
٢٠. شوشتري، نورالله بن شريف الدين. (١٤٠٤هـ). إحقاق الحق. قم: مكتبه آيه الله المرعشي العامه.
٢١. الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي. (١٤٠٤هـ). من لا يحضره الفقيه تحقيق: علي أكبر الغفاري. قم: منشورات جماعة المدرسين.
٢٢. الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي. (١٤٠٥هـ). كمال الدين (تحقيق: علي اكبر الغفاري). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

٢٣. الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي. (١٤١٧هـ). الامالي. قم: مؤسسة البعثة.
٢٤. الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن. (١٣٨٦هـ). الاحتجاج (تحقيق: محمد باقر الخراسان). النجف: دار النعمان للطباعة.
٢٥. الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن. (١٤١٥هـ). مجمع البيان. بيروت: مؤسسة الاعلمي.
٢٦. الطبري، محمد بن جرير بن رستم. (بلا تاريخ). دلائل الإمامة. النجف: المطبعة الحيدرية.
٢٧. الطبري، محمد جواد. (١٤٢٣هـ) اجمل الصور في حياة المعصومين في فترة الصغر. بيروت: دار المحجة.
٢٨. الطبرسي، محمد جواد. (١٤٢٣هـ). حياة الصديقة فاطمة. تهران: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.
٢٩. الطبرسي، محمد جواد. (١٤٢٤هـ). حياة الإمام العسكري عليه السلام. قم: مؤسسة بوستان.
٣٠. الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن. (١٤١٤هـ). الامالي. قم: دار الثقافة.
٣١. الطوسي، عماد الدين ابو جعفر محمد بن علي. (١٤١٢هـ). الثاقب في المناقب (تحقيق: نبيل رضا علوان). قم: مؤسسة انصاريان للطباعة.
٣٢. علي الصغير، محمد حسن. (١٤٣٠هـ). الإمام الحسن العسكري وحده الهدف وتعدد الاساليب. بيروت: مؤسسة البلاغ.
٣٣. القرشي، باقر شريف. (١٤٠٩هـ). حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام. بيروت: دار الأضواء.
٣٤. الكراجكي، ابو الفتح. (١٤١٤هـ). كنز الفوائد. قم: مكتبة المصطفوي.
٣٥. الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق. (١٣٨٨هـ). أصول الكافي. طهران: دار الكتب الإسلامية.

٣٦. المجلسي، محمد باقر. (١٤٠٣هـ). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٧. المسعودي، علي بن الحسين. (١٣٧٤هـ). إثبات الوصية. نجف: مطبعة النجف الاشرف.
٣٨. المسعودي، محمد فاضل. (بلا تاريخ). الأسرار الفاطمية. قم: مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة عليها السلام، مطبعة أمير.
٣٩. المفيد، ابو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبري. (١٤١٤هـ). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر.
٤٠. مكارم الشيرازي، ناصر. (١٤٢٤هـ). قصص القران المقتبس من تفسير الأمثل (إعداد وتنظيم حسين الحسيني). قم: مؤسسة انصار بيان للطباعة والنشر.
٤١. الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر. (١٤٠٢هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بيروت: دار الكتاب العربي.